اســـم الكتـــاب :

هـو روح الحـج

بسم الله الرحمن الرحيم

هو روح الحج

مُقَدِّمَة

الحـج ليـس مجـرد أركان تُـؤدى، ولا مناسـك تُكـرَّر، بـل هـو رحلـة قلـب قبـل أن يكـون رحلـة جسـد. وإن كانـت الأعـمال الظاهـرة مـن طـواف وسـعي ووقـوف ورمـي... هـي علامـات الحـج، فـإن روح الحـج وجوهـره الحقيقـي هـو ذكـر اللـه.

قال تعالى:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 198]

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 203]

كأن اللـه يخبرنـا أن أعظـم مـا يُطلـب في هـذا الموسـم الجليـل، هـو دوام الذكـر واسـتحضار القلـوب لعظمتـه، ومـلء الصحائـف بنـور محبتـه.

فذكر الله في الحج:

- هو روح الطواف، فلا معنى لدوران دون قلبٍ ذاكر.
- وهـو زينـة السـعي، فـلا فائـدة من خطـوات متعبـة دون قلـبٍ متصـل باللـه.

- وهـو جـمال الوقـوف بعرفـة، فـلا شيء يمـلأ عرفـة أعظـم مـن ألسـنة تلهـج بذكـر اللـه وقلـوب تتـضرع إليـه.

الهـدف الأسـمى مـن الحـج ليـس فقـط أداء المناسـك، بـل أن نصـل إلى: محبـة اللـه .. رضـاه .. الأنـس بقربـه .. والتخلـق بصفـات العبوديـة الحقيقيـة؛ ولهـذا قـال النبـي ﷺ عـن أعظـم أهـل السـبق: "سَـبَقَ المُفَـرِّدُونَ... الذَّاكِـرُونَ اللـهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِـرَاتُ".

الحـج الحقيقـي يبـدأ عندمـا يتحـول الذكـر إلى حيـاة في القلـب، ومـاء يـروي الـروح، ونـور يقـودك بعـد الحـج إلى اللـه. فليكـن هدفـك مـن الحـج أن تعـود منـه: بلسـانٍ لا يـزال رطبًـا مـن ذكـر اللـه، وقلـبٍ تعلَّـق باللـه، وصحيفـةٍ امتـلأت بالنـور، وسـيرٍ إلى اللـه لا توقفـه الأيـام.

عناصر الموضوع

1. عشر ذي الحجة: أعظم مواسم الطاعة... وأقرب الطرق إلى محبة الله.
2. أعظم الأيام وأحب الأعمال إلى الله.
3. في أيامٍ أحبّ إلى الله... أكثروا من ذكر الله.
4. مواسم الخيرات : فرصة لتجديد الإيمان وتزكية النفس .
5. أعظم مقاصد الحج.
6. ذكر الله... هو روح الحج.
7. ذكر الله عبادة مستقلة بذاتها.
8. الفرق بين الذاكر والغافل.
9. النفخة الإلهية: سر التكريم الإنساني في الخلق.
10. استحضار معاني الذكر.
11. فضل الذكر في القرآن والسنة.
12. لا تفتر عن ذكر الله .
13. ففي الذكر سر الوصول إلى محبة الله .
14. خطوات الوصول إلى محبة الله :
    أ. نُكثر من الذِّكر.
    ب. اجعل لك وردًا ثابتًا من الذكر.
    ج. استمر... حتى تُصبح لا تستغني عن الذكر.
15. استشعر معاني الذكر ... لا تُردد فقط.
16. إن لله طريقًا يورث محبته... ومحبة الله تسوق العبودية إلى القلب.
17. ثمرات ذكر الله عز وجل.
18. ادخل عشر ذي الحجة بنية القرب من الله.
19. سبق المفردون.

عشر ذي الحجة: أعظم مواسم الطاعة... وأقرب الطرق إلى محبة الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا طيّبًا كثيرًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، عبدُه ورسوله. أما بعد،،

فقد عمَّ فضلُ الله تعالى أمةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وزادهم من نعمه، حين خصَّهم بأيامٍ فاضلة، يُضاعَف فيها الأجر والثواب، وتُرفَع فيها الدرجات، وذلك من رحمة الله وكرمه بهذه الأمة المرحومة؛ فقد عمَّ فضلُ الله تعالى على أمة محمدٍ ﷺ، وتجلَّى كرمه وجوده، يوم أن خصَّهم بأيامٍ فاضلات، يُضاعَف فيها الأجر، ويُرفَع فيها العمل، وتُكفَّر بها السيئات.

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢].

إنها العشر المباركات، التي أشرقت أيامها بنورها، وخيراتها، وأجورها المضاعفة، عشرٌ عظيمة، أودع الله فيها من الفضائل ما لم يودعه في غيرها من الأيام، فكانت موسمًا عظيمًا للعبادة، وفرصة لا تُعوَّض للمسابقة إلى الطاعات.

وإن من فضل الله تعالى ونعمه الجليلة على عباده: أن هيأ لهم مواسم الخيرات، وأيامًا فاضلة، تكون مغنمًا للطائعين، وميدانًا لتنافس المتنافسين، فيها تُرفَع الدرجات، وتُكفَّر السيئات، وتُغفر الزلات، فيها تُرفَع الأعمال، وتُكفَّر الذنوب، وتُضاعف الأجور.

أعظم الأيام وأحب الأعمال إلى الله:

ومن أعظم هذه المواسم وأجلِّها: تلك الأيام التي شهد لها النبي ﷺ بأنها أفضل أيام الدنيا على الإطلاق، ألا وهي أيام عشر ذي الحجة.

ففي هذه الأيام المباركة: تتضاعف الحسنات أضعافًا كثيرة، ويبلغ أجر العمل الصالح فيها منزلة ثواب المجاهدين في سبيل الله، بل ويتجاوز ذلك، كما دلَّت على ذلك نصوص السنة.

فهي أيام عظيمة في قدرها، جليلة في فضلها، ينبغي للمسلم أن يعرف حقَّها، ويستثمرها بما يرضي الله من الطاعات والقربات.

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ"**، يعني: أيام العشر.

قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال: "وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ".

[رواه البخاري -الصفحة أو الرقم: ٩٦٩].

ويكفي في استشعار فضل هذه الأيام: أنَّ العمل الصالح فيها يُعادل، بل يَفوق أجرَ الجهاد في سبيل الله، ذلك الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وقد أعدَّ الله لأهله مائة درجة في الجنة. فلا غرابة – إذن – أن يحرص السلف الصالح على اغتنام هذه الأيام، والاجتهاد فيها بالطاعات والقربات.

فقد كان سعيد بن جبير رحمه الله – وهو راوي حديث ابن عباس السابق – إذا دخلت العشرُ من ذي الحجة، اجتهد اجتهادًا شديدًا حتى ما يكاد يُقدَر عليه.

٣

في أيامٍ أحبّ إلى الله... أكثروا من ذكر الله:

فماذا ينبغي لغير الحاج أن يعمل في هذا الموسم العظيم؟

هذا الموسم الذي يمتد عشرة أيام، ويبلغ عدد ساعاته مائتين وأربعين ساعة! أيام عظيمة، وساعات ثمينة، ينبغي أن تُستثمر بأفضل ما يكون من القربات والطاعات. فأفضل عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل في مثل هذه الأيام: هي الإكثار من ذكره سبحانه، والاشتغال بطاعته،

والتقرب إليه بسائر وجوه الخير. وقد أشار الله إلى فضل هذه الأيام في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقد فسر جمهور العلماء "الأيام المعلومات" بأنها عشر ذي الحجة.

وثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير".**

[رواه الإمام أحمد والطبراني].

فهذا هو التوجيه النبوي الصريح: أكثروا من الذكر، فهو عمل يسير على اللسان، عظيم في الميزان، وهو شعار الصالحين، وزاد الذاكرين، وسلاح المؤمنين في كل زمان.

مواسم الخيرات : فرصة لتجديد الإيمان وتزكية النفس

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بمواسم الخيرات، ومواطن الطاعات، لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات.

ففي زحمة الدنيا، تقسو القلوب، وتجفُّ الألسنة عن الذكر، ويحلُّ الفتور، وتتمكن الغفلة من النفوس، ويؤزُّ الشيطانُ الإنسانَ إلى هواه أزًّا، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

ولهذا، فإن العبد في أيام دهره أشدُّ ما يكون حاجةً إلى مواسم روحانية، يُجدِّد فيها إيمانه، ويُحاسب فيها تقصيره، وينفض عن قلبه غبار الغفلة، ويُنعش في روحه إحساس العبودية الحقّة لله تعالى، عبوديةً تملأ القلب خشية، وتملأ الجوارح طاعة، وتملأ اللسان ذكرًا وشكرًا.

مواسم الطاعات تأتي رحمةً من الله عز وجل؛ لِتكون فرصة لتطهير القلب مما عَلِق به من الذنوب، ولمسح آثار الهمِّ، والغمِّ، والمشكلات اليومية، ومصارعة الحياة.

فالنفسُ مفطورةٌ على حبِّ الطهارة، والنفوسُ مجبولةٌ على حبِّ الترتيب، والنظافة، والرائحة الطيبة.

نحن نرتاح حين ننظف أماكننا، ونزيّن بيوتنا، ونرتب حياتنا.. وهكذا خُلقنا! وكما تحتاج البيوت إلى تنظيف... فإن القلوب كذلك تحتاج إلى تنظيفٍ، وترتيبٍ، وتطييب. وها هي مواسم الطاعات، تُقبل علينا لتمنحنا هذه الفرصة العظيمة: تطهير النفوس، وتصفية القلوب، وإعادة ترتيب الداخل، لنعود إلى الله أنقى، وأقرب، وأطهر.

والأدوات جاهزة، ميسَّرة، من فضل الله وكرمه، وهي:

- صلاةٌ تخشع فيها القلوب.
- وصيامٌ يُزكِّي النفس ويهذبها.
- وصدقةٌ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.
- وذكرٌ وتسبيحٌ وتهليلٌ يُحيي الأرواح.

- وتلاوة للقرآن تُنير الطريق وتشفي الصدور.
- واتباعٌ لسنة الحبيب ﷺ يُقرِّبنا إلى الله زلفى.

فيا سعد من اغتنمها! ويا فوز من أقبل على ربه فيها صادقًا مخلصًا!

هذه ليست مجرد مصادر تشريعية .. بل هي: مطهِّرات للقلوب، مطيِّبات للأرواح، مرتِّبات ومزيِّنات للفكر والمشاعر؛ إنها القرآن الكريم والسنة النبوية، هدايا السماء، وأدوات ربانية أُهديت إلينا لنعيش بها حياة طاهرة، مطمئنة، مستقيمة .. حين نأخذ هذه الكنوز بحقها: تلاوةً .. سماعًا .. تدبرًا .. فهمًا وعملًا، فإنها لا تكتفي بتنظيف القلب من الأدران، بل تُطيِّبه، وتُعطِّره، وتُزيِّنه بنور الطاعة والإيمان.

معك أدوات من السماء، أدواتٌ ليست فقط للتوجيه، بل للتطهير، والترتيب، والتجميل.. فالقلب لا يُطهَّر فحسب، بل يُصفَّى ويُزكَّى .. الفكر لا يُرتَّب فقط، بل يُقوَّم ويُنار .. النفس لا ترتاح فقط، بل تسكن وتطمئن. ثم تبدأ مرحلة التحلية .. القلوب تتزيَّن بنور الإيمان، تتعطَّر بمحبَّة الله، تصفو النفس، وتستنير الروح، وتتحوَّل العبادة من أداء إلى لذَّة، ومن عادة إلى حياة.

أعظم مقاصد الحج :

من أعظم مقاصد الحج:

- تحقيق التوحيد لله جل جلاله، فلا يُدعى غيره، ولا يُعبد سواه.
- تحقيق الطاعة والاتباع لنبيِّه محمد ﷺ، على خطى الهدي النبوي في كل شعيرة.
- تحقيق ذكر الله، الذي هو روح العبادات، وجوهر القربات.

ذكر الله... هو روح الحج:

هو نَفَسُ الحاج الذي يتنفسه، هو العبادة التي لا تنقطع، هو الزاد الحقيقي في رحلة الحج. إنه عبادة عظيمة، جليلة القدر، أحبها الله، وجعلها سببًا لحياة القلوب وطمأنينة الأرواح. وفي الحج... يتجلَّى الذكر في كل ركن، في التلبية، في الدعاء، في التكبير، في المواقف والمشاعر؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]

وما بُنيت الكعبة، ولا أُذِّن في الناس بالحج، إلا لإقامة ذكر الله سبحانه وتعالى؛ فذكر الله... هو حياة الأرواح، هو نعيم الحياة، هو العبادة

التي تُحيي القلوب، وتبتهج بها النفوس، وتستقر بها الأرواح؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ, أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

فالمؤمنون الحقيقيون، إذا ذُكر الله، أو ذُكِّروا به، اطمأنت قلوبهم، وخشعت جوارحهم، واكتنفتهم السكينة، وغشيتهم الطمأنينة والسلام.

فالحج موسم لتجديد العهد مع الذكر، وتصفية القلب من الغفلة، وربط الروح بالله، فهو حج وذكر، وطواف وتسبيح، وسعي ودعاء، ووقوف وتكبير.

من أراد طمأنينة القلب وسعادة الحياة، فوالله لن يجدها إلا في ظلِّ ذكر الله سبحانه وتعالى. مهما بحث الإنسان عن السكينة في المال، أو الجاه، أو الدنيا، فلن يجدها إلا في هذا الذكر العظيم، الذي به تحيا القلوب وتأنس الأرواح.

٧

ذكر الله عبادة مستقلة بذاتها:

أمر الله بها عباده الصالحين، بل وجعلها شعارًا لأهل الإيمان، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]

ذكرًا كثيرًا... لا محدودًا، لا معدودًا، لا موسميًا .. ذكرًا يشمل:
الاستغفار، التكبير، التحميد، التهليل، التسبيح .. كل لون من ألوان ذكر الله محبوب عند الله؛ لأنه يربط الخلق بالخالق، ويغذي

الأرواح بما لا تغذيه الدنيا بأكملها.

فالقلوب التي تنبض بذكر الله، هي قلوب حية، مشرقة، مضيئة، مطمئنة، قلوب وُفِّقت لحياة طاهرة في الدنيا، وفوز عظيم في الآخرة .. أما القلوب التي غاب عنها ذكر الله، فإنها قلوب موحشة، خراب، موات، مهما بدا عليها من الزينة الظاهرة، فهي في حقيقتها خاوية من النور، خالية من الاطمئنان.

الفرق بين الذاكر والغافل :

هكذا قال النبي ﷺ، مبيِّنًا الفرق الجوهري بين الذاكر والغافل: **"مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ".**

رواه البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (٧٧٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

تمامًا كما أن بين الحياة والموت فرقًا شاسعًا، فكذلك بين الذاكر لله والذي لا يذكره فرقٌ عظيم.

أتدري لماذا شبَّه النبي ﷺ الذكر بالحياة؟

لأن الله جعل ذكره حياةً للقلوب، ونورًا للأرواح، ومنشأً للسعادة والسكينة، ومصدرًا للطمأنينة الحقيقية.

فالميّت لا حياة فيه، وكذلك القلب الغافل... الذي لا يذكر الله .. هو قلب ميِّت، خاوٍ، موحش، مهما بدا حيًّا في الظاهر.

ويكون للقلب من الحياة بقدر ما يكون فيه من ذكر الله، كلما ازداد الذكر، ازداد النبض بالحياة، والأنس، والنور.

ولذلك، أيها المهموم... الذي ضاق صدرك، وثقلت همومك: أكثِر من ذكر الله .. اذكر الله ذكرًا تسمعه أذنك، وتشعر به روحك .. الْهَجْ بذكره، وردِّده في خلوتك وجَلْوتك، فستجد أثرًا عجيبًا من الانشراح، والسرور، والسعادة الغامرة في القلب.

لكن... تنبَّه! الذكر الذي لا يواطئه القلب، الذي يتحرَّك فيه اللسان، بينما القلب مشغول بالدنيا والهوى .. هذا ذكر قد يُؤجر عليه صاحبه، نعم، فالله لا يُضيع مثقال ذرة من خير؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

لكن الأثر الحقيقي في حياة القلب، لا يظهر إلا إذا وافق الذكرُ حضور القلب، إذا اهتزَّ القلب، وانكسر بين يدي الله، وارتوى بذكره، عندها فقط... تبدأ الحياة الحقيقية للقلب، ويبدأ النور يشعُّ من الداخل.

ليكن اللسان ذاكرًا، والقلب حاضرًا؛ فليس المقصود من الذكر مجرد ألفاظ تُردَّد، بل ذكرٌ يواطئه القلب، ويحضره العقل، وتخشع له الجوارح.

ومن يعاني من ضيق الصدر، أو وحشة القلب، أو همٍّ مقيمٍ، فليعلم أن الشفاء هو في ذكر الله، شفاء مضمون النتيجة، حتمي التأثير، لكن

بشرطين: أن يكون خالصًا لله، وأن يصاحبه حضور قلبٍ ومواطأة روح.

وإني أقولها بكل يقين: من وُفِّق إلى ذكرٍ خالصٍ، صادقٍ، حاضر القلب، فإني أضمن له - بإذن الله - أن يجد من السعادة، والانشراح، والطمأنينة، واللذة، ما لا يجده الغافلون، ولو ملكوا الدنيا بأسرها.

فالغفلة لها آثارها: وحشة في النفس، ضيق في الصدر، فراغ في القلب لا يملؤه شيء إلا ذكر الله.

حين يبدأ الإنسان الغافل بالرجوع إلى الذكر، فإن الأثر قد لا يظهر فورًا؛ لأن القلب الميت يحتاج إلى وقتٍ ليحيا من جديد، يحتاج إلى معالجة، إلى مجاهدة، إلى تدرُّج.

لكن انظر إلى أولئك الذين أَلِفوا الذكر، وداوموا عليه .. لا يستوحشون، لا تضيق صدورهم، لا يهتز استقرارهم الداخلي. وإن أصابتهم مصيبة، أو مرَّت عليهم شدة، أو شاهدوا ما يكرهون، فإنهم لا يطيلون المكوث في الضيق، بل يعودون سريعًا إلى الذكر، فيعود إليهم الانشراح، وتسترجع أرواحهم الطمأنينة.

فهذا هو السرُّ: من عاش مع الذكر... لا تدوم عليه العلل، ولا يطول عنده الضيق. إنه يتنفس بالله، ويستند على الله، ويستمد من نور الله.

ولا يوجد أبلغ من هذا التعبير النبوي، حين شبَّه النبي ﷺ الذاكر لربه بمن هو حي، والغافل بمن هو ميت، فقال: **"مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ"**. فهل يستوي الحي مع الميت؟ هل يستوي من فيه روح، ونبض، ونور... مع من جُرِّد من

الحياة، وانقطع عن مصدر النور؟

إنها- أي القلوب- تمامًا كمثل السمكة، إذا أخرجتها من الماء، تموت؛ لأن حياتها مرتبطة بالماء. وهكذا القلوب .. حياتها مرتبطة بذكر الله، فإذا جفَّت من الذكر، ماتت، وإن بقي الجسد حيًّا.

تأمَّل الأشجار والنباتات والغراس: حين تُحرَم من السقيا، تبدأ تذبل... تصفر... تجف... ثم لا تلبث أن تموت. ربما تراها في مزهرية جميلة، تُزيَّن ويُعتنى بها، لكن إن تُركت أيامًا بلا ماء، جفَّت أوراقها، وسقطت أزهارها، وذبلت بهجتها، حتى تصبح منظرًا لا يُفرح، بعدما كانت تسرُّ الناظرين.

وهكذا القلب .. إن تُرك بلا سقيا الذكر، يصيبه الذبول، والضيق، والوحشة، والجفاف الروحي. قد كان قلبًا مبهجًا، طريًّا، نقيًّا، فإذا به يتصلَّب، يضيق، يتيبَّس، ويغدو منظرًا باهتًا لا نور فيه ولا حياة. فالقلوب لا تحيا إلا بماء الذكر، ولا تُثمر إلا في مناخ الطاعة، ولا تُزهر إلا تحت شمس الإيمان. فمن أراد أن يبقى قلبه حيًّا، نضرًا، مشرقًا، فليُكثر من ذكر الله. فإن القلوب التي غاب عنها الذكر .. قلوبٌ مظلمة، متقلبة، ضيقة الصدر، مضطربة المسار. والذكر ليس مجرد ترداد، بل هو حياة الأرواح، وغذاء القلوب، ونور الدروب.

شرح الحديث الأول **" مثل الذي يذكر، ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت "** موقع أ.د. الشيخ خالد سبت

فإن رأيت قلبًا مظلمًا، متقلبًا، ضائقًا، ففتِّش عن الذكر: هل سكن فيه؟ أم غاب عنه؟

هل عمَّره صاحبه بتسبيح وتهليل؟ أم تركه لظلمة الغفلة وموات الهوى؟

من أقام ذكر الله في قلبه، أقام الله فيه نورًا لا ينطفئ. ومن غفل عن الذكر، سكنت الوحشة في صدره، وإن ضحك، وإن شُغل، وإن بدا سعيدًا أمام الناس.

قال ابن القيم رحمه الله: "في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وفيه فقر لا يسده إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره".

المدارج ٣ / ١٥٦

فيا من تشتكي الوحشة .. ويا من تئن من ضيق الصدر .. ويا من تبحث عن معنى الطمأنينة الحقيقي: اذكروا الله كثيرًا؛ لتحيا قلوبكم، ولتستنير صدوركم، ولتسكن أرواحكم، ولتزول غربتكم.

النفخة الإلهية: سر التكريم الإنساني في الخلق:

حين يُخلق الإنسان بالروح لا بالجسد ، فلا غُربة مع الذكر، ولا ظلمة مع القرآن، ولا موت مع حياة القُرب من الله. فالروح التي بين جنبيك، ليست شيئًا عابرًا، ليست مجرد طاقة أو حياة .. إنها نفخة إلهية، من أمر الله، ومن عظيم قدره.

حين خلق الله آدم عليه السلام، خلقه من تراب... ثم قال له "كن" فكان، ثم نفخ فيه من روحه، فصار الإنسان مكرَّمًا، مُفضَّلًا، وأمر الله الملائكة أن تسجد له، تكريمًا لما حواه من نفخة ربانية. فأنت يا ابن آدم: بالروح إنسان، لا بالبدن، وشرفك الحقيقي ليس بجسدك، ولا بصورتك، بل بتلك الروح الإلهية التي سكنت فيك. ولأنك خُلقت من عنصرين: بدن من تراب، وروح من أمر الله؛ فكل عنصر له غذاؤه:

- البدن غذاؤه من الأرض: من الطعام والشراب،
- أما الروح، فهي لا تُغذى إلا بما يوافق أصلها: ذكر الله، وكلامه، والقرب منه سبحانه.

تحيا الأرواح بذكر الله، وتموت حين تنقطع عنه .. فالقلوب التي غاب عنها ذكر الله، تصبح مظلمة، موحشة، ميتة، خاوية من النور والسكينة؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

سمَّى الله القرآن "روحًا"، لأنه هو ما يُحيي الأرواح حقيقة، وبه نعرف الله، وبه نذكره،

وبه نلتمسُ طريق العودة إليه.

فيا من أثقلتك الدنيا، يا من تعاني من جفاف الروح، وضيق النفس، وقسوة القلب: عُد إلى القرآن، عُد إلى ذكر الله، عُد إلى ما خُلِقَت روحك لأجله. اجتهد أن تتقرب إلى الله، بأكمل ما يكون من الطاعة، ففي القرب منه عزك، وسكينتك، وخلودك. ويأتي ذكر الله...تلك

العبادة العظيمة، التي أحبها الله، وأمر بها، وحثَّت عليها النصوص، وتكاثرت فضائلها، وعظمت أجورها.

استحضار معاني الذكر :

ما المقصود بـ "استحضار معاني الذكر"؟

هو التفكُّر والتأمل في معاني الأذكار التي يرددها الإنسان، واستشعار ما فيها من عظمة الله، وطلب الرحمة، والاستغفار، والشكر، والتسبيح، والتوكل... .

أمثلة توضيحية:

١. "سبحان الله"

- المعنى: تنزيه الله عن كل نقص.
- الاستحضار: عند قولها، يستشعر المسلم كمال الله، وأنه منزَّه عن كل عيب.

٢. "الحمد لله"

- المعنى: الثناء على الله بما هو أهله.
- الاستحضار: يستشعر المسلم نِعم الله عليه، ويشكر الله بقلبٍ واعٍ.

٣. "الله أكبر"

- المعنى: الله أعظم من كل شيء.
- الاستحضار: يستحضر أن الله أعظم من مشاكله، من الدنيا، من كل شيء يشغله.

٤. "لا إله إلا الله"

- المعنى: لا معبود بحق إلا الله.
- الاستحضار: يستشعر توحيد الله، ويُجدد ولاءه لله وحده دون غيره.

فضل الذكر في القرآن والسنة:

لقد جاءت النصوص الشرعية المباركة في القرآن والسنة ...تحثُّ على ذكر الله، وتُبيِّن فضله، وتُرغِّب فيه، وتقرِّب القلوب إليه. ففي أنواع الذكر تجد لكل حاجة مفتاحًا:

استغفارٌ... يفرِّج الكرب، ويجلب الرزق، ويحلُّ العقد،

قال نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]

ومن داوم على الاستغفار، جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

وما الاستغفار إلا نوع من أنواع الذكر .. ثم تأتي تلك الكلمات التي تخوض بها في بحر من الحسنات: التسبيح، التحميد، التهليل، التكبير؛ إنها الباقيات الصالحات: قال تعالى:﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]

هذه الكلمات الأربع العظيمة: سبحان الله، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، الله أكبر .. هي خير ما يُكتب في الصحائف، وخير ما يُرجى في يوم الحساب.

(خيرٌ ثوابًا): لا تبحث عن أجرٍ أعظم منها، فإنها خير عند الله.

(خيرٌ أملًا): إن كنت تأمل أن تلقى صحيفةً تُسرُّ بها يوم القيامة، فلا تأمل في شيء أعظم من أن تملأها بهذه الكلمات.

(خيرٌ مردًّا): حين ترد على الله، وتعرض صحيفتك، وتنظر في عملك، فخير ما ترد به إلى ربك: ذكرٌ ملأ الصحيفة، وأنار القلب، وغرس الجنة.

قال النبي ﷺ: **"خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ ؛ قولوا : سبحانَ اللهِ ، و الحمدُ للهِ ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ ، واللهُ أكبرُ ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّماتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ".**

الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع

الصفحة أو الرقم: ٣٢١٤ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

➤ كنز من كنوز الجنة:

ثم قال ﷺ في كنز آخر: **"لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... كنز من كنوز الجنة"**. صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٤٢٠٥

فاغتنم كنوز العرش، وغراس الجنة، ومفاتيح الطمأنينة .. بذكر الله، ودوام التسبيح، وإدمان الاستغفار.

لا تفتر عن ذكر الله :

ذكرت **فضائله**: أنه حياة القلوب، ونور النفوس، وغراس الجنة، وسبب الطمأنينة، ومفتاح تفريج الكروب. وذكرت **أنواعه**: من تسبيح، وتهليل، وتكبير، واستغفار، وحوقلة .. تكرَّرت الأوامر به في آيات كثيرة؛ حتى يكون للعبد ورد لا يفتر من ذكر الله.

➤ بل تأمل هذا الموقف المؤثر:

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال له: **"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ"**.

أي: أشعر بكثرة التكاليف والعبادات، فدُلَّني على شيء أمسك به

وألازمـه...

فقال له النبي ﷺ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ".

المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي

الصفحة أو الرقم: ٣٣٧٥ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

يـا أللـه! ... مـا أيسرهـا، ومـا أعظـم أجرهـا! لم يقـل لـه: صيـام دائـم، أو قيـام كل ليـل، وإن كانـت عظيمـة، لكـن قـال لـه: "رطِّـب لسـانك بذكـر اللـه"؛ لأن الذكـر عبـادة دائمـة، سـهلة، لكنهـا عظيمـة الأثـر .. تفعلـه في الطريـق، وبـين النـاس، وفي المـرض، وفي الوحـدة، وفي كل وقـت .. ولا تحتاج فيـه لطهـارة، ولا مـال، ولا جهـد كبـير... فقـط قلـب حـاضر ولسـان ذاكـر.

فهلَّا جعلنا ألسنتنا رطبة بذكر الله؟

قال النبي ﷺ: " لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ ".

هـل تأملـت هـذا التشـبيه النبـوي البليـغ؟ إنـه تشـبيه معنـويٌّ عجيـب .. فالنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم لم يَقُـل: "اذكـر اللـه كثـيرًا"، بـل قـال: "رطبًـا"؛ لأنـه يعلـم أن اللسـان سريـع الجفـاف، وكأنـه يبـين لنـا أن جفـاف اللسـان علامـة عـلى غيـاب الذكـر.

اللسـان الجـاف .. هـو اللسـان السـاكت، الغافـل، البعيـد عـن ذكـر اللـه. لسـان لا يُسـبِّح، لا يُهلِّـل، لا يسـتغفر؛ فهـو جـافٌ لا حيـاة فيه. أما **اللسـان الرطـب**، فهـو اللسـان الـذي يذكـر اللـه في كل ثانيـة، في كل لحظـة، في كل حـال .. لا يفـتر، لا يسـكت، لا يغيـب، وكأن النبـي ﷺ يقـول: اجعـل مـن الذكـر سـقيًا دائمـة للسـانك؛ حتـى لا ييبـس، وحتـى لا تمـوت روحـك.

ففي الذكر سر الوصول إلى محبة الله .

بل تأمل ما هو أعجب: هذا الصحابي جاء يسأل عن شريعة الإسلام، عن ما يُمسِكُه من الدين إن شقَّ عليه بعضه، فأجابه النبي ﷺ بجوابٍ يختصر الإسلام كله في مفتاح واحد: **"لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"**.

لم يقل له: صُم، أو صلِّ، أو تصدَّق، أو جاهد - وإن كانت كلها عظيمة - بل قال له: "اذكر الله كثيرًا"؛ فالذي يُدمن الذكر، يُحب الله .. والذي يحب الله، يسهل عليه كل شيءٍ بعد ذلك: يُصلِّي بحب، يُطيع بحب، يترك المعاصي بحب، يخشع قلبه، وتلين جوارحه، ويستنير وجهه .. فمن دخل من باب الذكر .. فقد دخل على كل أبواب الشريعة.

الذكر ليس فقط تحريكًا للِّسان، بل هو تذكُّر واستحضار وتعظيم، كلما أكثر العبد من ذكر الله، أزال الغفلة عن قلبه، وكلما استحضر عظمة الله، ازداد حياؤه منه ومحبته له. ويتأمَّل نِعَمه وآلاءه قال تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]

تأمل: من الذي خلقك؟ رزقك؟ سترك؟ أعطاك الصحة؟ فكل ما فيك من نعمة... هو منه. وإذا عرفت المُنعِم حقًا، أحببته لا محالة. لولا فضلُ الله ورحمتُه لهلكنا .. لولا فضله، ما عرفنا طريق الهداية، ولولا رحمته، ما ذقنا لذَّة الإيمان، ما صلَّينا، ولا صُمنا، ولا تصدَّقنا، ما عرفنا الله أصلًا... ولا أحببناه... ولا رجونا جنَّته.

فلولا أن الله عرَّفنا بنفسه، وهدانا إليه، وفتح قلوبنا لذكره، لبقينا في الغفلة... نعيش ولا نعرف من أوجدنا، ومن أكرمنا، ومن له الحمد كله .. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

ذكر الله ينبع من قلبٍ عرف الله .. من أحبَّ الله... أكثر من ذِكره، ومن أراد أن يحبَّ الله... فليبدأ بذِكره؛ فالذكر هو مفتاح الحب؛ لأن القلب كلما ذكر، استحضر، وكلما استحضر، تعظَّم الله في عينه، وكلما تعظَّم، تعلَّق قلبه بالله، وأحبَّه، وأنِس بقربه.

"من أراد أن يسقي قلبه حبًا لله، فليسقه بكثرة الذكر، فإن القلوب تظمأ، ولا يُروِيها إلا ذِكر الله". فيا من تبحث عن القرب، والطاعة، والثبات .. اجعل لسانك رطبًا من ذكر الله، فإن في الذكر حياة... وفي الغفلة موات.

خطوات الوصول إلى محبة الله:

قد يقول قائل: "ما السبيل لأن يصبح ذِكر الله ليس فقط كلمات على اللسان، بل حياة في القلب؟"

الجواب: إنها خُطوات

١- الخطوة الأولى : نُكثر من الذِّكر

ابدأ بتدريب نفسك على الاستمرار في الذكر... ليس مجرد لحظات،

بـل اجعـل لـك وردًا مفتوحًـا مـن ذكـر اللـه يوميًـا. اخـتر الأذكار المأثـورة التـي وردت فيهـا وعـود عظيمـة بالأجـر، مثـل:

١. مغفـرة تغمـر الذنـوب: قـال النبـي ﷺ: **"مـن قـال: سـبحان اللـه وبحمـده مائـةَ مـرةٍ، غُفِـرَت لـه ذنوبُـه، وإن كانـت مثـل زبـد البحـر".**

[صحيح الترمذي: ٣٤٦٦ | البخاري: ٦٤٠٥ | مسلم: ٢٦٩١]

تخيّل: ذنوبك الكثيفة كزبد البحر... ثم تذهب!

٢. كلـمات خفيفـة... عظيمـة عند الله؛ قـال ﷺ: **"كلمتـانِ خفيفتانِ عـلى اللسـانِ، ثقيلتـانِ في الميـزانِ، حبيبتـانِ إلى الرحمـنِ: سُـبْحَانَ اللـهِ وَبِحَمْـدِهِ، سُـبْحَانَ اللـهِ العَظِيمِ".**

[البخاري: ٦٦٨٢ | مسلم: ٢٦٩٤]

حُبّ الرحمن لك في كلمتين فقط...!

٣. تمـلأ الميـزان... وتملأ السـماوات؛ قال ﷺ: **"الحمدُ للـهِ تملأُ الميزانَ، وسـبحانَ اللـهِ والحمـدُ للهِ تملآنِ ما بين السـماءِ والأرضِ".**

[صحيح مسلم: ٢٢٣]

فلا شيء يملأ الكون والميزان مثل الذكر الصادق...

- كرر هذه الأذكار كل يوم، بلسانك أولًا، ومع الأيام سيلين قلبك لها.
- استحضر المعاني وأنت تذكر.
- وذكّـر نفسـك دومًـا: اللسـان بـاب، والقلـب هـو الهـدف. فـإذا داومـت عـلى الذكـر، سـيبدأ القلـب ينبـض بـه، لا محالـة

قد تقول: "أذكر الله... لكن لا أشعر، لا أتأثر... لا أحس بشيء". فأقول لك: لا بأس... أنت الآن في مرحلة "التطهير".. قد لا تشعر بها... قد لا تدركها... لكنها تعمل في داخلك .. لستَ مطالبًا أن تبدأ بـ"الإحساس"، بل أن تبدأ بـ"الاستمرار"... إلى متى؟... حتى تذوق، حتى تشمَّ، حتى تُحسَّ، حتى تفرح .. نعم، ستمرُّ عليك لحظات لا تجد فيها لذة الذكر، لكن تذكَّر دائمًا: مرحلة التحلية لا تأتي إلا بعد التخليَة.

والمشاعر؟ والترميم؟ والقلوب المكسورة؟ القلوب فيها أماكن مهدَّمة، وأخرى خَرِبة، وبعضها ميت .. لكن لا بأس... هي مسألة "ترميم" فقط، والأدوات موجودة:

- مواد التخليَة (الاستغفار، التوبة...).
- ثم التحليَة (التهليل، التكبير، المحبة، التعظيم...).

روِّض قلبك بالذكر... حتى يرقَّ، ويقوى، ويُعظِّم ربَّه.

لا تتوقع عطرًا قبل الغسل...في البداية لن يكون هناك روائح طيِّبة، ولا مشاعر سامية دائمًا، ولا دموع ناعمة تسيل... لكنك تُنقِّي داخلك، تمسح الغُبار، تُنظِّف، تُطهِّر... وسرعان ما تُزيَّن، وتتعطَّر، وتُعظَّم.

٢- الخطوة الثانية: اجعل لك وردًا ثابتًا من الذكر،

كل يوم، ثم لاحِظ... إن تركته ستشعر بفراغ في يومك.. حينها فقط .. ستدرك أنك نجحت: لأنك ألفت ذكر الله، وصار قلبك يشتاق إليه. بعد أن استَمْرَرْتَ على الذكر، وتعوَّد لسانك عليه، وفتح الله عليك

بالثبات... حينها... تصبح من أهل الذِّكر والنور .. تبدأ تعيش مع نَفَحات التكبير، وتأنس بنسمات التهليل، وتطمئن بالتسبيح والتمجيد، وتُصبح الباقيات الصالحات جزءًا من روحك: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"؛ قال الله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

٣- الخطوة الثالثة: استمر... حتى تُصبح لا تستغني عن الذكر

ستبدأ تشعر أن ذكر الله صار: محبوبًا إليك، تشتاق له إذا غاب، تتفقده إذا نسيته، تأنس به إن حضر. ستكون من الموفَّقين، الذين جمعوا بين: ذكر باللسان، وحضور بالقلب، ومعرفة بالمعنى.

١٥

استشعر معاني الذكر ... لا تُردد فقط:

قل: الحمد لله، وأنت تستحضر كل نعمة تناثرت بين يديك .. تتذكر فضل الله الذي يحيط بك من كل جهة: عن يمينك، عن شمالك، فوقك، تحتك .. أنت تغرق في فضل الله، فهل جزاء الإحسان إلا الحمد؟

قل: أستغفر الله، وأنت منكس الرأس، خجلٌ، حياءٌ... من كثرة ما أسرفت، وفرَّطت، وجنيت، وتجاوزت... تستغفر صباحًا ومساءً، لا لأنك صالح... بل لأنك مُقصِّر، ومع هذا، ما زال الله يفتح لك باب التوبة!

قل: الله أكبر، وأنت تستشعر عظمة الله، وجلاله، وهيبته، تشعر بهيبة الكبير المتعال، الذي لا يعجزه شيء، وتستحي أن تلتفت لغيره أو تعظم سواه.

حين يشترك القلب واللسان .. إذا استشعرت معاني الأذكار، يبدأ القلب يشارك اللسان تلك الكلمات: الحلاوة .. والأنس .. والطمأنينة .. والسكينة. وحين يتواطأ القلب مع اللسان، يكون الذكر سلاحك الأعظم، وسندك الأقوى، وجليسك الذي لا يُمِلُّ في الخلوات.

"إن لله طريقًا يورث محبته... ومحبة الله تسوق العبودية إلى القلب":

من أكثر من ذكر شيء، أحبه .. ومن أحب شيئًا... أكثر من ذكره .. فهما متلازمان لا ينفصلان.

ولتقريب الصورة .. فكِّر في إنسان تحبه جدًا: زوجة .. ولد .. أم أو أب .. صديق عزيز، أو صاحب طفولة .. هل تتذكر؟ كلما مر اسمه... ارتفعت نبضات قلبك؟ كلما وصلتك منه رسالة... ابتسمت دون أن تشعر؟ كل لحظة معه... كانت فرحًا وسعادة؟ فكيف إذا كان هذا الحب لله؟ كيف إذا كنت تأنس بذكره، وتشتاق لمناجاته، وتفرح بقربه؟

هكذا يُبنى حب الله في القلوب .. ذكرٌ حاضر، قلبٌ خاشع، ولسانٌ لا يملُّ من الترداد.

مثال يقرب القلوب:

﴿ وَلِلهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾

كل شيء محبوب إلى القلب .. يأنس القلب بذكره، ويطيب الجلوس معه، ويستمتع بالحديث إليه. بل إن الأيام الطوال، والساعات المتتابعة بصحبته تمر سريعًا، كأنها لحظات خاطفة من شدة المتعة والأنس.

وأصعب اللحظات؟ لحظة الفراق... انقضاء المجلس... فتبدأ تبحث فورًا عن لقاء آخر ، يعيد للقلب لذته، وللروح سلوها.

ولله المثل الأعلى... لو آنست القلوب بذكر الله ومحبته: لكان ذكره، والخلوة به، والتلذذ بمناجاته، أمتع ما يجده العبد في ساعات يومه وليلته .. تلاوة لكلامه .. دعاء وتضرُّع إليه .. تسبيح وتمجيد وتعظيم .. كلها تصير متعة تفوق كل لذة بشرية.

ولهذا كان أنيس العابدين: قيام الليل؛ لأنه وقت الخلوة بالله، حين تنام العيون، وتُغلق الأبواب، وتخفت الأصوات .. **تكبير... تسبيح... تعظيم...** يتقلب في الأنس، يتلو آيات ربه، يرتجف قلبه هيبةً وخشية، وإذا ركع خضع، وإذا سجد اقترب... فهو في أقرب موضع يكون فيه العبد من ربه. "يهمس في أذن الأرض، فيسمعه رب السماوات السبع". يعيش في تلك اللحظات بين: ذكر، دعاء، تسبيح، تلاوة، خشوع .. كلها أنواع من المتعة الإيمانية، لأنه استشعر المعنى، وتذوَّق الأنس، وفَهِم القرب.

ثمرات ذكر الله عز وجل:

في زمن كثرت فيه الهموم وتزاحمت الأحزان، يبحث كثير من الناس عن علاج لأمراضهم النفسية في غير مكانه، ويغفلون عن "المصحة الإلهية"، وعن الدواء الرباني المضمون: ذكر الله تعالى.

أولًا: الطمأنينة وسكينة القلب:

- سكينة النفس وطمأنينة القلب تملأ أقطار النفس.
- لا يشعر بالخوف حين يخاف الناس.
- لا يضطرب إذا اضطرب الناس.
- يثبت حين يَقلق الآخرون.
- يرى الأمل حين ييأس الناس.
- يرضى حين يسخط الناس.
- يرتاح قلبه، وينشرح صدره.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]

ثانيًا: الراحة النفسية والسكون الداخلي

- علاج فعَّال لأمراض القلب والاضطرابات النفسية.

- يغني عن البحث الشاق في الماديات والرحلات النفسية البعيدة.
- يغني عن المصحات والكتب التي تبحث عن "الطمأنينة".

ثالثًا: الإحساس بالقرب من الله

- يطمئن الذاكر بالله وبقربه وجواره.
- يعيش في حمى الله، وتحت حفظه وعنايته.
- لا يشعر بالوحدة، حتى لو خلا من الناس، فالله معه.
- كل ما حوله صديق له، لأنه من صنع الله عز وجل.

رابعًا: الفهم الصحيح للحياة

- يطمئن بإدراك حكمة الله في الخلق والمصير.
- يدرك أن الابتلاءات مقدَّرة، فيرضى ويصبر.
- يرى في البلاء طريقًا إلى الرحمة والرفعة.

خامسًا: انضباط الجوارح ومراقبة الله

قال أحد العارفين: **"المؤمن يذكر الله بكلِّه؛ لأنه يذكر الله بقلبه، فتسكن جميع جوارحه إلى ذكره".**

- إن امتدت يده، ذكَّرته فتوقفت عمَّا يُسخِط الله.
- إن سعت قدمه، كفَّت عن طريق المعصية.

- إن سمع، استحضر رقابة الله فغض سمعه.
- إن نطق، راقب الله فصان لسانه.

ادخل عشر ذي الحجة بنية القرب من الله:

نية المسابقة إلى رضا الله لا الاكتفاء بجمع الأجر .. ادخل عشر ذي الحجة بنية مختلفة لا تدخلها فقط بنية جمع الحسنات .. نعم، كثير منا يرى هذه الأيام فرصة لأخذ الحسنات؛ فيقول: أحاول الاجتهاد في كل طاعة، كل عمل خير، أي شيء يرفع الرصيد... ولكن، هل هذا وحده يكفي؟ لا، بل الأصل: أنها فرصة لأُبرهن لله أنني أُحبه .. أحب ما يحبه الله .. وأحب الأيام التي يحبها الله .. وأريد أن أُري الله من نفسي خيرًا في أحب الأيام إليه.

➤ نية السباق في الخيرات:

ليس فقط أن أفعل الخيرات، بل أُسابِق إليها! قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١]

لم يقل: "يفعلون الخيرات"، بل قال: "يسارعون" و"سابقون"!

إذا كانت هناك مسابقة في المدرسة أو في العمل ، فماذا ستفعل؟

- تقدم أفضل ما عندك!
- تكون على أعلى مستوى من الإتقان.
- تنوي أن تكون من السابقين، لا من المتأخرين.

ينبغي أن تكون همُّتك منصبَّة على المسابقة إلى مراتب الآخرة العُليا، فكن من

السابقين السابقين؛ قال الله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة ١٠- ١٢]

- ندخل العشر بِنِيَّة المسابقة، لا فقط نية العبادة.

سبق المفرِّدون:

- قال ﷺ وهو في طريق مكة، يمر بجبل: "سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ". قَالُوا: وَمَنِ الْمُفَرِّدُونَ؟ قال: "الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ".

[صحيح ابن حبان: ٨٥٨]

"الآن هم في مسير سفر، والنبي ﷺ يقول لهم: (سِيرُوا)، أي سيرًا بالأقدام والأبدان والرواحل.

ثم يسألهم: من الذي سبق القافلة وتقدَّم؟

قال: (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ).

فسألوه: ومن المفردون يا رسول الله؟

قال: (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات).

فهنا، وهم في عالم الدنيا، ينقلهم عليه الصلاة والسلام إلى عالم الآخرة، فهم يسيرون بأبدانهم، لكنه أراد أن يربط سير الأبدان بسير القلوب.

وكأنه يقول لهم: كما أنكم تقطعون المسافات الطويلة بالخطوات المتتابعة، فكذلك المسير إلى الله يُقطع بالذكر، ذكر متتابع، خطوات تقرِّبك من الله، بل تجعلك سابقًا إليه عز وجل.

*فضائل الذكر... لا تُحصى:

- لو أحصينا فضائل الذكر في النصوص، ما انتهينا: أعظم القربات .. وأسرع طريق إلى الله .. ومفتاح الطمأنينة .. وسبب لكتابة اسمك في اللوح المحفوظ.

قال يحيى بن معاذ: "يا غَفُول يا جَهُول، لو سمعتَ صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك، لمِتَّ شوقًا إلى مولاك".

موثَّق في كتاب "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم الأصبهاني، ضمن كلامه، كما ورد برواية الحسن بن علويه عن يحيى بن معاذ

- هل تُريد أن تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟
- هذه الأيام تُدرِّبك على الذكر المتواصل، المتذوق، المُحب.

فلا تجعل الذكر عادة فقط، بل نافذة للأنس، وسُلَّمًا للمحبة، وجسرًا إلى الله.

المراجـــــع :

- (٣٠) شرح الحديث الأول " مثل الذي يذكر، ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت " موقع أ.د. الشيخ خالد سبت.
- مقاصد الحج (ذكر الله) الشيخ أ.د. حسن بخاري.
- ذكر الله وآثاره على النفس والسلوك - السيد مراد سلامة.